الترجمة للطفولة
رائعة "البؤساء" مترجمة إلى العربية. ربح أم خسارة ؟

La traduction pour l'enfance
"Les Misérables" traduit en arabe. Gain ou perte?

سعيدة كحيل
مخبر الترجمة وتعليمية اللغات
جامعة باجي مختار، عنابة - الجزائر -
kohsaida@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2016/12/20 **تاريخ المراجعة:** 2017/04/13 **تاريخ النشر:** 2017/06/30

ملخص:

تقترح الدراسة، البحث في استراتجيات الترجمة للطفولة والكفاءة المعرفية الأتي تبنيها متخذة مدونة حازت على قلوب الأطفال في مختلف أعمارهم بل وخاطبت ولا تزال تأسر حنايا الكبير الدفينة بغرائبية الطفولة وبراءة شخصيات الرائعة الأدبية التي تحولنا بعد تمثلها إلى أطفال نبكي مع كوزيت ونتوق إلى حنان جان فال جان إنها رائعة البؤساء لفيكتور هيجو بترجمة منير بعلبكي.

إن سبب اختياري لهذه الرواية تجربتي الخاصة معها وتجربة أبنائي ومعارفي ثم الجمهور العالمي والاستبيان على شبكة الأنترنت الذي حولها إلى المرتبة الأولى عالميا وفي جميع الأزمنة مقروئية في الأصل وخاصة في الترجمة فما هي أسس نجاح التجربة وخاصة في الترجمة العربية لكي نبني عليها ؟

تتحقق الترجمة الأدبية للطفولة بتقنيات وطرائق وتستقصد أهدافا خاصة بالنظر إلى المتلقي الخاص بالسبر في عوالم الطفولة ونحت الكلمات بشفرتهم وبناء القيمة الإنسانية داخلهم والتي تسمح للمترجم بالربح في نقلها لأنها جاءت من رؤية غير متناقضة فكلما جسدنا في الكتابة هذه القيمة كلما كانت الترجمة ذات جدوى حتى وإن خسرت فلتربح ولكن ماذا تربح؟.

إن السؤال الجوهري في إشكالية الملتقى الهام هو ماذا وكيف نترجم للطفل؟ ولكن الإجابة عنه مرتبطة بكيف نكتب ونقرأ للطفولة؟ كيف نختار الأعمال للترجمة هل المعيار هو السهولة؟ أم أن السهولة بالنظر إلى بساطة

الأطفال مغالطة كبرى وخاصة بعد تجربة البؤساء .كيف نكيف الاختراق الثقافي؟

ترنو الدراسة إلى تحقيق هدف من مراجعة ترجمة البؤساء إلى العربية يظهر في تجلي القيمة الإنسانية في الكتابة والترجمة للطفل وسر الربح والخسارة إذ إن نجاح التجربة يبنى عليهما معا وقد تنفع الدراسة في تبيين قيمة الكفاءة المعرفية وسر الاختيار في بناء مشروع الكتابة والترجمة للطفل إنسانا طاهرا وحياديا.

الكلمات المفتاحية: ترجمة الطفولة؛ الربح والخسارة؛ استراتجيات الترجمة الأدبية؛ الكفاءة المعرفية؛ ثقافة القيمة.

Résumé:

L'étude porte sur les stratégies de la traduction pour l'enfant et la construction de la compétence cognitive. On a choisi comme corpus, "Les Misérables" de Victor Hugo et la traduction arabe de Mounir Baalabaki.

Le choix de ce chef d'œuvre du XIX^{ème} siècle est lié à une expérience personnelle vécue et à l'intérêt porté aux enfants ; Pour la première fois dans l'histoire du roman, l'auteur adoptera une fillette (Cosette) comme « héroïne ».

Pour quelles raisons ce roman a-t-il eu un tel succès en lecture ainsi qu'en traduction? et comment - techniques et stratégies - peut-on le traduire pour l'enfant arabe?

La traduction du chef d'œuvre "Les Misérables" a pu éliminer les interférences culturelles (franco-arabe). Elle est parvenue à représenter la valeur humaine de l'enfant et c'est là tout l'intérêt et l'objectif visés par notre étude.

Mots clés: Traduction de l'enfance; Gain et perte; Stratégies de traduction littéraire; Compétence cognitive; Culture de valeur.

1- جمالية ترجمة أدب الطفل:

معنى ترجمة أدب الطفولة **"ترجمة المبدعات التي مادتها الكلام."**[1] لجمهور خاص يتميز بتذوق جمالي خاص **يحتكم إلى خصوبة الخيال اللامتناهي.** وهي من هذا المنطلق أداة تضطلع بنقل المعنى والمكافئات اللغوية ووسيلة اتصال بين آداب الشعوب وثقافاتها وآلية لمد جسور معرفة الآخر والإطلاع على خياله وفنونه بطريقة موجهة لمتلق صغير. وهي عمل أصيل وموضوعي يقع في محور شبكة معقدة من المعرفة للعناصر الاجتماعية والنفسية والثقافية، يختص به مترجمو أدب الطفل دون غيرهم. وعلى هذا فإن مهمة مترجم أدب الطفل خاصة تتعلق بكفاءات متخصصة من بينها **الكفاءة المعرفية و التواصلية**.

"Literary translation is the work of literary translators. That is a truism which has to serve as a starting point for a description of a literary translation, an original subjective activity at the centre of a complex network of social and cultural practices."[2]

وإننا إذ نتطرق إلى الترجمة الأدبية لأنها نوع النص الذي استقر عليه بحثنا وترجمة الرواية ولأن العمل الروائي الذي نحن بصدد البحث حول ترجمته لكاتبه فيكتور هيجو، ليس من اليسير ترجمته بالنظر إلى إشكالات كتابته واختيار **شخوص الأطفال "كوزيت وغافروش وبنات تيناردييي"** أبطالا ينطقون بقيم العمل الأدبي ورموزه الإنسانية.

تنفتح الرواية على الترجمة ولكنها لا تنصاع بسهولة لأنها تعبر عن مكنونات نفس الأديب وأحاسيسه ومشاعره وأفكاره وقيمه، فالنص الروائي "البؤساء" زيادة عن كونه كتلة من الرموز الموضوعة بين دفتي كتاب، فهو أيضا وعاء مشحون بقيم إنسانية ودينية. فمن أكثر العقبات التي يواجهها مترجم هذه الرواية هي القدرة على جعل الطفل بمختلف تكوينه المعرفي والنفسي يتمثل أصل العمل الرائع لكاتب استثنائي، ومن الأهم أن يبلغ تأثير الترجمة فيه مبلغ الاستجابة وترك الأثر. والمترجم الجيد هو الذي ينجح في نقل المعنى دلاليا من خلال المحافظة على رؤية

المؤلف ولهجته الخاصة وموقفه وعواطفه.[3] إن ترجمة الأدب تحد مضمر و أحيانا أخرى صريح لسلطة القوانين الفنية.

"The work of literary translators implicitly and sometimes explicitly challenges the authority of the canon, the nationalism of culture and the "death" of the author."[4]

كما أن عسر ترجمة النصوص الروائية وخاصة الموجهة لجمهور الأطفال ليست عبثية بل مرهونة ليس فقط بالعوامل المحيطة بإنتاج النص، الحضارية والثقافية والسياسية والاقتصادية، وبطبيعة اللغة السائدة في ذلك العصر والزمان وعبقريتها وكذا خصوصيات اللغة المستقبلة وجوانبها الثقافية والحضارية بل بمستوى مستقبل النص وقابليته على التمثل والتأثر وهو في حالتنا الطفل بتجربته الخاصة في الاستماع والقراءة والتقليد..

والمترجم قارئ أول، ثم مبدع في ترجمته، ناقل لما فهمه من النص الأصلي وهو معني بنقل ما توصل إليه للطفل قارئا ثانيا. ذلك أن "النص لا يشتغل بالطريقة ذاتها حين ينتقل من أنسقة جغرافية وسياسية وإيديولوجية مختلفة عن أنسقته الأصلية، ولا ينتج القراءات ذاتها حين يقرأها ويؤولها أشخاص مختلفون لغويا **وعمرا** و اجتماعيا و ثقافيا".[5]

2- خصائص الكتابة الروائية وأدبية الترجمة للطفولة:

تتميز الكتابة الروائية للطفولة بشبكة من الخصائص تستدعي التخصص فهي معمار اصطلاحي مرفق بمعان متداخلة فالكلمات سهلة كتلك التي نتداولها يوميا لكنها مفعمة بالأحاسيس والخيال والرموز ومشبعة بالقيم الثقافية التي تجعلها تضطلع بمهام رمزية ومجازية تتفاعل فيما بينها."[6] لأن ما نختاره من كلمات تؤدي وظيفة تبليغ رسالة لقارئ صغير له تجربة خاصة وعالم خصب من التخييل. والقراءة الأدبية للطفل ليست تلك القراءة التي نعني بها **"إلقاء النظر إلى نص لمعرفة ما فيه"**[7]من معان فقط وليست تلك التي تعني **"التعرف على أحرف أو كتابات أو مخطوطات في لغة ما وتلفظ الأصوات التي تمثلها منفردة أو**

مجتمعة"[8]، بل هي فهم الرسالة التي يحملها النص عن طريق ترتيب الوحدات الدلالية وظلالها التعبيرية ورموزها المعرفية وأطرها الخيالية **في ثقافة غالبا** ما تكون مغايرة للتي تعود عليها الطفل. والترجمة للطفل، لا يمكن أن تتم بمنأى عن المتلقي - الطفل في حالتنا - لأن النص كتب لأجل قراء معينين هم الأطفال، وعندما نقوم بترجمته فإننا نجتثه من بيئته ونزج به في بيئة ليست بيئته ونضعه بين أيدي قراء صغار السن والتجربة، نراعي فيه أفق الانتظار لديهم.[9]

على المترجم أن يضع نصب عينيه أثناء كل مراحل الترجمة جمهور الأطفال الذي يترجم لأجلهم وهم مقصده وغرضه.

وعملية الترجمة وثيقة الصلة بالثقافة المترجم إليها أي ثقافة الطفل العربي في حالتنا لأنه **"لا ينبغي أن تنحصر في إيجاد مقابلات في اللغة المترجم إليها لمفردات اللغة المترجم منها، بل تتطلب على وجه الخصوص إيجاد الإمكانية التي من خلالها يمكن نقل أكبر قدر من المعاني الضمنية التي تنطوي عليها لغة الآخر"**[10].

3- نظرية واستراتجيات ترجمة الرواية للطفل:

من المعروف أن الآراء قد تضاربت حول كيفية ترجمة "ثقافة الأطفال": ثمة فئة من المختصين تدعو إلى التخلص من الأفكار والصور الغريبة أي السماح للمترجم بالتصرف في العمل الأصلي وتكييفه مع بيئة الطفل ومعتقداته. فمثل هذا التدخل - في رأيها - مشروع لأنه يخدم أهدافا تربوية واجتماعية... وهناك فئة أخرى تؤكد على ضرورة احترام العمل الأصلي وترجمته كما هو، لأن تدخل المترجم يخل بأمانة المحتوى ونزاهته، بل يقضي على"الأجنبي"، وفي هذه الحالة يحرم الطفل من اكتشاف الآخر. وواجب المترجم أن يكون محايدا ينقل العمل دون تشويه صوره ومعانيه؟ وهناك فئة ثالثة... وفئة رابعة...

قد يكون هذا العرض الذي ورد في إشكالية ملتقى ترجمة ثقافة الطفل بوهران منطلقا للتحليل والإجابة عن التساؤل.

وبعيدا عن الجدال التقليدي حول الترجمة الحرفية والحرة والتكافؤ والتكييف وأي التقنيات أنسب للترجمة الأدبية بصورة عامة نتساءل في هذه الدراسة عن تقنيات الترجمة الروائية للطفولة.

يرى كثير من نقاد ترجمة أدب الطفل أنها نظرية الهدف أو الفعل الترجمي. تدافع النظرية على المنهج الوظيفي للترجمة، إلا أن بعض الغموض بقي يكتنف مفاهيمها وتصوراتها فعندما نقول الهدف أو الغاية يتبادر إلى الذهن السؤال عن أي من الأهداف نتكلم ؟ عن هدف المفوض (Commissioner) أم هدف المترجم (Translator) أم هدف المتلقي (Reciepient)[11]. وبالتالي، فإن الصعوبة الحقيقية تكمن في زاوية الرؤية، هل تكون من وجهة نظر المفوّض أو المترجم، التي يتم تطبيقها على عملية الترجمة (Translating) ؟ أم من وجهة نظر المتلقي التي يتم تطبيقها على الترجمة (Translation)؟

ويعرف "هانس ج. فرميير" الفعل الترجمي كالآتي:

"الترجمة تعني لي تقريبا، عملية تبدأ بتفويض يتمثل في مجموعة من التعليمات (اللسانية والغير لسانية) قصد تحضير "نص مترجم" (شفاهي أو كتابي) وذلك لتفاعل بيثقافي يرتكز على "نص مصدر". "[12] **ومن أهم مبادئ نظرية الفعل التي تستثمر في ترجمة أدب الطفل :**

تعليمة الترجمة :

تتمثل التعليمة في وجود طرف يقترح على المترجم العمل الأدبي، ويقدم له ما يتاح له من المعلومات حول الغاية من ترجمة رواية للطفل مثلا : كالتاريخ والمكان والمحيط وكذا الوظيفة المستهدفة من النص المترجم. وتشكل كل هذه المعلومات في حد ذاتها "تعليمة" للترجمة.

كما أن التعليمة توضح معايير ترجمة النص، ولهذا السبب يرجع تقرير نظرية الفعل الترجمي نص الترجمة إلى الشخص الذي قدم ذلك النص أو الكتاب والذي قد يكون المترجم حين يختار عملا على أسس

براغماتية أكثر منها جمالية، حتى وإن لم تبرز التعليمة بوضوح شروط إنتاج النص. ومن الواضح أن الزبون والمترجم سيضطران عادة إلى التفاوض من أجل تحديد الهدف إذا كانت للزبون فكرة غامضة أو خاطئة عن نوع النص المناسب للحالة المقترحة للترجمة.

ولا بدّ أن ندرك بأن التعليمة لا تملي على المترجم طريقة قيامه بعمله ولا الاستراتيجيات التي يتبعها أو يتبناها، بل تترك له الحرية في اتخاذ هاته القرارات.[13]

يمكن أن تستهدف الترجمة جمهور الأطفال بتقنياتها التي تبنيها على قاعدتين أساسيتين وفق هذه النظرية، تتمثل الأولى **في قاعدة الاتساق**، والتي تقضي بأن يكون النص المترجم متسقا بالنسبة لمتلق الترجمة، ويتحقق ذلك بمراعاة المترجم أو خبير الاتصال- وفقا للتعبير الذي يستخدمه الوظيفيون - لظروف وخلفيات المتلقين، أما القاعدة الثانية فهي **الأمانة للمعنى** بما يحقق الربح المستهدف والقصد المبدئي، أي في نقل المعلومات المتضمنة في النص الأصلي[14]بسبل بسيطة تتكيف والخيال الطفولي مما يضمن الربح المادي بالاقتناء والرواج لأن **جمهور الأطفال يتقن الاختيار** ولا يتمثل إلا المقنع الذي قد تتدخل فيه قناعات ذاتية وعوامل إشهارية مثلما حدث مع الربح الذي لوحظ في شراء رواية وفيلم "هاري بوتر".

تخضع الترجمة للأطفال إلى مراعاة معايير دقيقة تخول لها خصائص تصنيفية من بينها تجنب الإلحاق؛ وقد انتقد ميشونيك النزعة الالحاقية في الترجمة، والتي يعتبرها طمسا لهوية الآخر من خلال جعل النص يبدو كما لو كتب باللغة الهدف، إذ يفضل الاتجاه التغريبي في الترجمة، و الذي لا يتحقق في رأيه إلا بمراعاة معياري اللامركزية décentrement و الشفافية transparence.

ويدين ميشونيك اتجاهين تشويهين في الترجمة الالحاقية، و هما النزعة التجريدية abstraction التي يسعى المترجم من خلالها إلى

تجويد النص الأصلي والارتقاء به، مما يفضي بالمترجم إلى المبالغة في إعطاء النص بعدا غنائيا.

أما الاتجاه الثاني فهو ميول المترجم إلى الإيضاح والتأويل، وهو ما ينتج عنه فقدان النص لإيقاعه وأصالته، ومن ثم إضعاف الخاصية الشعرية للنص.[15]

4- تمثل الطفولة في رواية البؤساء لفكتور هيجو:

وقع اختيارنا على رائعة أدبية لا تشي بصلتها اللصيقة للطفولة إلا عندما ترجمت واقتبست في مجال السينما والمسرح والتلفزيون. وأهم ما يميزها أنها الرواية الأولى في تاريخ الكتابة التي أسندت البطولة المطلقة للأطفال: كوزيت وغافروش "ولعل ألق الرواية ناتج عن ترجمة القيمة الإنسانية الواردة على لسان هذين البطلين. وكعادته لجأ هيجو إلى تصوير رائع للواقع مستخدما شخوصا خيالية:

« Peindre des choses vraies par des personnages de fiction", telle est la "manière" de Hugo lorsqu'il entreprend de représenter l'Histoire dans un roman. En vertu de quoi les personnages historiques »[16]

- البؤساء، مؤلفها ومترجمها :فيكتور هيجو ومنير بعلبكي

ولد فيكتور هيجو في 26 فيفري 1802 في مدينة "بوزنسون" عملاق كل العصور الأدبية، كاتب وشاعر وسياسي فرنسي، غادر باريس سنة 1851 لتكون له بروكسل منفى لمدة 18سنة .وفي سنة 1862صدرت له "البؤساء" وقد اختار لرائعته عناوين مختلفة إلى أن استقر على هذا العنوان وفي كل مرة يحيل هيجو على رمز:

« Dans une perspective plus romantique, l'écrivain a d'abord privilégié un héros, *Jean Tréjean*, faisant écho à Claude Gueux et au condamné jamais nommé ; en 1847, son nouveau titre, *les Misères*, faisait porter l'accent sur les souffrances des personnages. *Les Misères* suggéraient des causes, *les Misérables* met l'accenteur les victimes. »"[17]

أشهر الروايات تأليفا وترجمة خاصة بموضوعها الإنساني وتميزها بالبطولة الطفولية المطلقة الواصفة لمعاناتهم وتعد شخصية كوزيت محورية وأكثر الشخوص عناية بالدراسة تلك هي البؤساء التي تمثل الشقاء وسوء المعاملة وهي قضايا شغلت وتشغل المنظمات الإنسانية والفكر الحر في كل العصور وتعد المشاهد التي تصور البؤس عينة على وضع الطفل:

« Les grands thèmes humanistes y sont développés: l'enfance représentée par Cosette, les petites Thénardier, Gavroche et ses deux petits frères. Cosette est l'héroïne du roman, ce qui en fait l'enfant la plus intéressante à étudier car elle subit de mauvais traitements, c'est surprenant de voir à quel point les enfants sont maltraités, au temps de Victor Hugo. On découvre que la misère est omniprésente dans la vie des enfants des milieux populaires"[18]

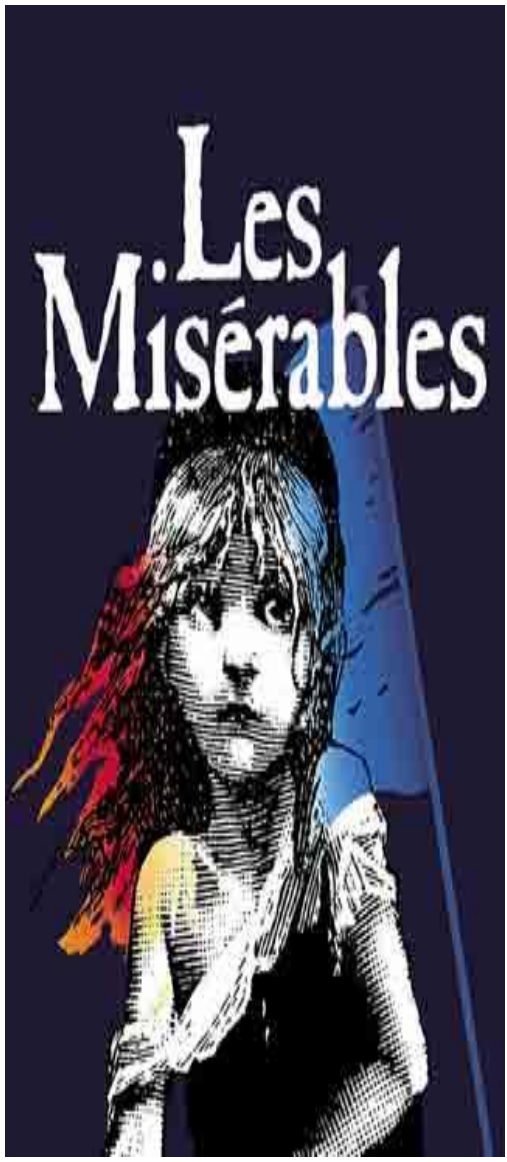

-

ومن قراءة سيميائية لتشاكل الصورة والخطاب لعتبة الرواية من خلال الغلاف الخارجي لطبعتين في الأصل والترجمة نلمح مشهد الطفولة المعذبة ممثلة في الطفلة "كوزيت" بشعرها المنفوش ووجهها الحزين مرة وأخرى بمنظر استغلال طفولتها في الأشغال الشاقة.

هناك صلة حميمية وحضور خاص بين هيجو وقرائه سببها طبيعة الموضوع في الأصل وكل الترجمات العالمية التي تناولت رواية البؤساء خاصة:

« Victor Hugo et nous: pourquoi lui, pourquoi nous ? Deux raisons principales expliquent la pérennité de sa présence et le caractère indissoluble du lien qui nous unit à ce chantre de l'humanité, à ce héraut de la fraternité: la proximité de l'homme Hugo, « Ego Hugo »[19]

من وحي معاناته الخاصة خط "هيجو" ملحمة الشقاء بجمالية نادرة تمثل فيها بؤس الطفولة ورسم صورة لإنسانيته:

« Humain, et donc notre prochain, Victor Hugo a beaucoup aimé, Victor Hugo a beaucoup souffert.

Que c'est beau un écrivain de génie découvrant la question sociale par la question pénale et se dressant contre la misère comme il s'est élevé contre la guillotine et contre la prison ! Dans la démarche de Hugo, cet élargissement progressif de la réflexion - de la réforme des peines à la réforme de la société - me paraît comme une ascension. Le refus de l'injustice individuelle le conduit naturellement à refuser l'injustice collective." [20]

لقد وظف مبادئ خاصة به على لسان أبطاله الأطفال بعبقرية نادرة فبالنسبة له الذي يستحق العيش هو الذي يكافح، ومن يتخذ الوعي هوية له يكون فيه النوع الإنساني فما هو صرخته، إن النفوس المعذبة هي ريشته الوهاجة وقوة فعله ونفس صوته ولأجل هذا تميز شخوص الأطفال في البؤساء لأنهم أقدر على التعبير الصادق .

« Pour lui, « ceux qui vivent, ce sont ceux qui luttent ; ce sont ceux dont un dessein ferme emplit l'âme et le front ». Pour lui, qui s'identifie à une conscience, « le genre humain est une bouche dont il est le cri ». Ses armes sont sa plume étincelante, la puissance de son verbe, son art du plaidoyer et le souffle de sa voix. »[21]

جهاد من أجل المرأة ولكن من أجل براءة الطفولة أيضا، **الطفل هو المستقبل عند هيجو :**

« Combat pour la femme, mais aussi combat pour l'enfant, dont il épouse le parti, celui de l'innocence. Pour Victor Hugo, « L'Enfant s'appelle l'avenir »[22]

أما عن صورة الطفل عند هيجو فترتسم ناصعة في تصريحاته فهو المخلوق الذي ينفتح له الأفق هو الذي نقول عنه في يوم من الأيام سيكبر. إن المستقبل أمامه قد يصبح نحاتا كميشال أنجلو أو إستيراتيجي عسكري مثل بونابرت أو فرانسوا الأول سيكتشف كواكب أو عوالم جديدة على شاكلة كريستوف كولمبوس أو ربما أفضل، سيكون شاعرا. عن الطفولة صورة للسعادة، فكوزيت كانت تبلغ من العمر ثلاث سنوات عندما أودعتها أمها "فانتين" إلى عائلة "تيناردييه" وكانت سعيدة دائمة الضحك. إن الأطفال مخلوقات من نور بعيونهم الواسعة الجميلة التي لاتعرف الخوف وتظهر زرقاء عاكسة لون السماء الصافية:

« L'enfant, c'est cet être dont l'horizon est encore ouvert, celui dont on peut dire : « Un jour il sera grand ». Un avenir glorieux l'attend : il sera sculpteur, nouveau Michel-Ange, il sera grand stratège militaire, « comme Bonaparte ou François 1er », il découvrira des astres ou des mondes, comme Christophe Colomb, ou bien, mieux encore, il sera poète. La petite enfance est image de bonheur. Cosette a trois ans quand sa mère, Fantine, la confie aux Thénardier. Elle est joufflue, heureuse, elle rit. Les enfants sont des êtres de lumière. Avec leurs beaux grands yeux d'enfants, sans peur, sans fiel, Qui semblent toujours bleus, tant on y voit le ciel ! »[23]

ـ تيمة الطفولة "دمية كوزيت":

تعامل كتاب الرواية مع العرائس المتحركة تقربا من الأطفال وقد أضحكتهم لمدة لكنها كانت تبدو بلا حياة وأحيانا مشوهة. كان اختيار هيجو للدمية ليس اعتباطيا فقد أراد تجسيم منظر الطفلة السعيدة باللعبة في حضور الشجن الدائم. لقد كان سحر الدمية على كوزيت كبيرا، بدأت

بإعطائها اسما وهوية "كاترين" كما كانت ترمز إلى العلاقة بين المنقذ "جان فالجان" والطفلة المستعبدة الشقية. كانت دمية هيجو رمزا للطفولة حيث تميل البنات خاصة إلى تنمية الأنا وتوازن الشخصية والراحة النفسية وقد تستمر علاقتهن بالدمية إلى عمر متقدم. لكن الذي يشد أكثر في دمية كوزيت أن هيجو توسلها في روايته لأول مرة في تاريخ الكتابة وغدت معه الدمية رمزا جميلا مثيرا يندر تجاوزه فمن منا لم يحب دمية كوزيت ومن منا لم يحلم باقتناء دمية كبيرة كالتي كانت تراها كوزيت في واجهة المتجر وتحلم بامتلاكها. لقد أدرك التجار والأدباء وغيرهم ممن يتعاملون مع الأطفال أهمية الدمى في حياة هذه المخلوقات وهو مايتضح من تفسير رمز الدمية عند كوزيت :

« Mannequins insensibles à la vie", "marionnettes écrivait Goethe pour qualifier les personnages de Notre-Dame de Paris. Quinze ans plus tard Hugo lui donnera très ironiquement raison en créant le personnage de Cosette: ni mannequin ni marionnette, elle est une **poupée**. A l'origine, il y a une vraie poupée, celle offerte par Jean Valjean à Cosette. Cette poupée disparaît dès le livre suivant, mais entre-temps elle a eu "un effet magique" sur Cosette: elle a fait d'elle un personnage, avec une apparence d'identité… en recevant des mains de l'"affreux pauvre" la poupée, Catherine… Echange, mais non pas entre Cosette et Catherine, entre Cosette et Jean Valjean par l'intermédiaire de la poupée, à qui il revient d'emblée de médiatiser dans le symbolique la curieuse relation qui peu à peu s'installera entre le Veuf et l'Orpheline »[24]

5- تمثل ترجمة منير البعلبكي للقيمة الإنسانية للطفولة، ربح أم خسارة:

إذا كان أدب الطفل يشمل الأعمال الشفوية والمكتوبة والتي تستدعي حضور خيال الطفولة القابع بين السنة الثانية والرابعة عشر، فإن الغاية من الكتابة والترجمة للطفل هي تمثل عالمه ومقاربة وعيه له، عبر تمثل للقيم التي ترسخ في ذهنه فتصنع منه رجل الغد قادر على نقل هذه القيم لغيره. وعندما نتكلم عن القيمة فإننا لانربطها بشعب أو جنس

إنساني بعينه بل هي المكتسب الإنساني الصادر عن التجربة الإنسانية الإيجابية منزهة من التعصب. في هذا المقام ورد الرأي الموالي:

"Children's literature covers all the oral and written work calling the feelings, imaginations and thoughts of people of childhood period between the ages of 2-14). The most prominent feature separating this kind of literature from the literature formed for adults is the features of its population. During the childhood period starting from the early childhood period and covering also the adolescence period, children's books prepared in principle according to the children, support positively the lingual, cognitive and personality development of. Children's literature, while as a "transition literature" entertaining the child and showing him the problems of his own world from various angles, on the other hand."[25]

إن السؤال المطروح من هو **منير البعلبكي؟**

منير البعلبكي 1918-1999 مترجم رائد من الإنجليزية إلى العربية. اكتسب لقب (شيخ المترجمين العرب) وهو ما أطلقه عليه عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين. وهو في ترجمة البؤساء من الفرنسية إلى العربية عميد المترجمين كان أحد مؤسسي" دار العلم للملايين "في سنة 1945 وقد انصرف إلى الترجمة والتأليف. أصدر قاموس (المورد انكليزي عربي) وله ما يزيد على 100 كتاب مترجم في الأدب العالمي والمجالات الفكرية والاجتماعية. وقد عرفت ترجماته بالدقة والأمانة وروعة الأسلوب صدرت الطبعة الأولى لترجمة البعلبكي في ماي 1955وقد اعتمدنا الطبعة الثانية الصادرة في سبتمبر1975 ."رواية البؤساء خالطت الوجدان العربي المتألم"حتى كأنها منه هكذا صدر البعلبكي مقدمة الترجمة. فهل استطاع "منير البعلبكي" أن يجعل القارئ العربي لصيقا بالرواية قبل أن تقتبس في المسرح والسينما والتلفزيون في شكل تمثيل أو رسوم متحركة ؟ هل كان بحاجة وهو يتمثل الأصل إلى التوطين والتكييف أم الحرفية ؟ إن الأعمال المترجمة الناجحة لا تجد لها تجل وتمثل سهل من المترجم والقارئ في نظري على الأقل إلا إذا عالج موضوعها قيمة إنسانية ثابتة وإيجابية. إن التوطين

بمفهومه الجديد يضمن تكييف العمل الأدبي لجمهور مختلف عن الأصل ثقافيا مما يسمح بعبور القيمة دون غيرها من الأفكار والممارسات الممنوعة والتي تشوه فكر القارئ الصغير خاصة بل قد تسبب في حالة الترجمة الحرفية هجوما وحشيا على عالمه البرئ، أو تؤدي إلى الانسلاخ عن عالمه الثقافي واستبداله بالعالم الجديد حتى وإن سمحت ترجمة الكتب للصغار من تنمية فعل القراءة ذاتها:

« La pratique de la *localisation* - au sens nouveau de ce terme, qui définit un processus consistant à adapter une œuvre aux différents publics potentiels en fonction des impératifs, ou des interdits, propres à un espace culturel donné est désormais à prendre en considération.. »[26]

وسواء قرأ الطفل العربي رواية البؤساء في جزئها الثاني ممثلا في معاناة "كوزيت" أو استمع إليها من أمه المثقفة التي اختارت لابنها هذه الرائعة لأنها تعج بالقيم الإنسانية النبيلة فإن الربح والخسارة سيمس الترجمة حتى وإن تجاوزنا المترجم واعتبرنا منطقة التمثل تقع في ضوء إعادة الترجمة :

« A mother's loss of custody of her children and their subsequent placement in foster care calls into question her ability to conform to Cultural expectations of mothers »[27]

لا تعود أسباب الخسارة إلى الحكي بل إلى وعي بقدرة استيعاب الطفل لمعنى القيمة في غالب الأحيان حينها يصبح دور السارد "الأم" إيصال القيمة بأية وسيلة.

يصبح تمثل الطفل للقيمة الإنسانية فعلا تعاونيا لا يتملكه المترجم وحده بل القراء بترتيب زمني لفعل القراءة.

وبعيدا عن فنيات السرد التي تشغل المترجم كان تفكيرنا في المحتوى الذي تغيأه هيجو من خلال ترميز التاريخ والدين والسياسة والفلسفة في رواية ليست للترجمة والتذوق فقط في نظر أي مترجم بل

للتفكير فيما سينتج عن ترجمتها. وقد اخترنا تجاوز قراءة الأبعاد المذكورة والتركيز على صورة الطفولة من خلال هذه الأبعاد فقد برع المؤلف في تلقين القيم عبر لغة الأطفال وسلوكهم وسمح الاقتباس السينمائي وصناعة الرسوم المتحركة من إيضاح هذا الألق المنسوج للطفولة بلغتهم.

وصف هيجو الطفل في الكتاب الثاني من الرواية مثلا في صورة "كوزيت" وتتبع حركاتها بدقة:

« Cosette montait, descendait, lavait, brossait, frottait, balayait, courait, trimait, haletait, remuait des choses lourdes, et, toute chétive, faisait les grosses besognes. Nulle pitié ; une maîtresse farouche, un maître venimeux. La gargote Thénardier était comme une toile où Cosette était prise et tremblait. L'idéal de l'oppression était réalisé par cette domesticité sinistre. C'était quelque chose comme la mouche servante des araignées" (p. 303).[28]

لقد ترجم هذا التصوير إلى أكثر من 20 لغة ورغم سهولة اللغة وبساطة التعبير إلا أن أغلب هذه الترجمات ومنها الهولندية لسرداف مثلا لم ترق إلى الأصل فكأن عين المؤلف رأت فعلا منظر شقاء الطفلة فنقله بروحها:

« Les phrases de Victor Hugo sont souvent pleines de détails et d'énumérations. Manuel Serdav essaie souvent de dire la même chose en se servant de moins de mots. Bien que cette stratégie de traduction soit souvent appliquée dans l'adaptation que nous étudions, elle touche souvent aux effets du roman original. Ce que l'on voit ici dans le premier fragment, c'est que la voix du narrateur (... *ce que nous avons à raconter*) disparaît complétement. Lorsqu'on compare le roman et sa traduction, on voit souvent que la voix du narrateur se transforme en voix du traducteur. »[29]

نقل قيمة التضحية والتسامح وقيمة الشقاء والعطاء في آن واحد حيث تصبح مسؤولية أخلاقية لأي فرد في المجتمع وقد فصل المؤلف هذه القيمة والتعامل بها من ومع الطفل:

« Les Misérables présente des questions sur la responsabilité morale de chaque membre de la société."[30]

ـ عينة من تمثل القيمة الإنسانية الكتاب الثاني من البؤساء في الأصل والترجمة:

ليست ترجمة البؤساء لمنير البعلبكي هي الأولى إلى العربية فقد سبقه حافظ إبراهيم لكنه ومن تحليل العينة يتضح نوع التمثل للقيمة الإنسانية.

فحين يقول هيجو في مطلع الكتاب الثاني:

« L'an dernier (1861), par une belle matinée de mai, un passant, celui qui raconte cette histoire arrivait de Nivelles et se dirigeait vers La Hulpe. » P8

يترجمها البعلبكي :

"في العام الماضي (1861)، ذات صباح جميل من أيام نوار، كان أحد المسافرين - وهو الرجل الذي يروي هذه القصة - يتجه من "نيفيل" إلى "لاهوب". ص7

تميل استيراتجية المترجم نحو الحرفية لكن التصرف الذي مارسه في تمثل القيمة الثقافية - شهر ماي- عوضه بـــ : "أيام نوار" تقريبا من القارئ الصغير الذي يميل عادة إلى حب عالم الأزهار عن الشهور دون إيحاء مصور. يعبق بالأريج إضافة إلى التكييف الثقافي في لغة الطفل العربي المسيحي بلبنان.

وفي قوله:

« Le soleil était charmant, les branches avaient ce doux frémissement de mai qui semble venir des nids plus encore que du vent. Un brave

petit oiseau probablement amoureux, vocalisé éperdument dans un grand arbre » P9

ترجمها البعلبكي متأنقا في نحت الاستعارة:
"كانت الشمس فاتنة، وكانت الأفنان ترتعش ارتعاشة نوار الرقيقة والتي تبدو وكأنها ناشئة عن أعشاش الطير لا عن الريح. وكان طائر متأنق لعله أن يكون عاشق يتغنى بيأس في رأس شجرة عالية"ص9

إن الترجمة الحرفية في هذه الاستعارة تبقي على جمالية الأصل ولعلها تصف الطبيعة بعيون بريئة تتخير التفاصيل الجميلة لتصنع سيمفونية الحياة العذبة في المكان.لكنه من وجهة أخرى يصف ذلك الكائن الحي الحزين الذي سما به كتابه بعض الثني ويقدمه بطريقة سردية آسرة:

« C'était là la terreur de ce pauvre être que le lecteur n'a peut-être pas oublié de la petite cosette. » P120

وترجم البعلكي التقديم :
"ذلك كان الهول الذي احتملته تلك المخلوقة المسكينة التي نرجو أن لا يكون القارئ قد نسيها - كوزيت الصغيرة -"ص125

وإن ابتعد المترجم قليلا عن الحس الحرفي فإنه تمثل تقديم الطفلة البطلة وسيستمر في وصف معاناتها اليومية مع الماء ودلوه والظلام إلى أن يأتيها البطل المنقذ "جان فال جان" فترتسم بارقة الأمل على محياها وتعرف مصيرا آخر.

ستتخلص من الشقاء لتلعب كبنات تيناردييي حق لها في الحياة هو لعب الطفولة.. وعبر تيمة الحرب والسلم والسياسة والتاريخ والدين أفصحت الترجمة ربحا عن قدرتها في نقل ما يختلج في نفس الطفلة وتأثر معها آلاف الأطفال العرب عندما رأوها تحرم من اللعب والاحتفال بعيدها الديني.. وكانت **الترجمة جسر عبور الأحاسيس الإنسانية**. وحدها الترجمة العربية صنعت تمثل القيمة الإنسانية التي تلغي فوارق العرق والدين واللغة والسياسة ليعلو صوت واحد هو الإنسان في شكل طفلة

فقيرة معذبة بائسة جائعة حزينة فما ثمن كل ذلك أيها الإنسان؟ ومهما كانت الإستيراتيجية فإن معركة الربح والخسارة في الترجمة متكافئة بل **وقد نخسر كثيرا في الترجمة لنربح الأهم وهو التبليغ والتمثل شرط اختيار ما ننقل وكيف ننقل.**

من فيض الطفولة استحال السرد حكيا شعريا أسقطه البعلبكي في الترجمة؛ يقول هيجو:

« Un enfant sans couleur, sans regard et sans voix.. » P123

خاتمة:

الفعل الترجمي اختيار مترجم له استراتجيات، فبين الحرفية والتكافؤ والتكييف والترجمة الشارحة تتدخل رهانات عديدة، قد تتحكم فيها جهات معلومة أو مجهولة وقد يخضع إلى أذواق القراء، وهنا تتصارع التقنيات للظفر بالهدف. يقول فولتير : **"بئس صانعي الترجمات الحرفية، الذين بترجمتهم كل حرف يغضبون المعنى، هنا يصح فعلا أن نقول أن الحرف يقتل والروح تحيي"**[31]

ارتبطت الترجمة الحرفية - ونحن لا نقصد الترجمة كلمة بكلمة - في ترجمة القيمة الإنسانية عند الطفل في البؤساء بإيحاء الترميز، فهي الدرجة الصفر من التحول وعادة ما تتسبب في كثير من الأخطاء إلا أنها تعد وسيلة ترجمة جيدة بين اللغات المتقاربة ثقافيا، وهو طبعا ليس الحال بين اللغة العربية واللغات الأوروبية ذلك أنها قد تؤدي إلى خلط في المفاهيم لا فقط على مستوى اللفظة الواحدة ولكن على مستوى العبارات الاصطلاحية والعبارات الجاهزة التي لا تخلو من هذا التداخل؛ ففي اللغة العربية مثلا في أسماء الأشجار والأحياء..، وإذا كانت اللغة العربية تهطل اشتقاقا في هذا المجال فإن رؤية وتسمية اللغة الفرنسية للمجال نفسه قد تختلف وهنا نتساءل عن الربح الجيد في نقل الثقافة للطفل العربي عبر الترجمة.

لا تُعنى الترجمة الحرفية بأي تغير أسلوبي، وهو ما ينتج نصا فيه ملامح الإبداعية، كما تهدف أحيانا وعن نوايا حسنة إلى نقل كل شيء

لتضيع في إشكالية ترك كل شيئ، ذلك أنه في ظل غياب ترجمة مفهومة une traduction -compréhension لا تحقق الترجمة أيا من أهدافها وهذا لا يعني أن الترجمة الحرفية غير ناجعة تماما فهي قد تلبي الحاجة ولكن هذه الحقيقة تتلاشى في ظل النصوص التعبيرية ذات الطابع الوجداني كما هو الحال في وصف صور معاناة الطفولة المعذبة. فمن منا لم يبك مع كوزيت عندما رآها في الرسوم المتحركة تسكب أمطارا من عيونها بصمت. وهنا نتساءل عن قيمة التكييف الروائي في مجال صناعة الصورة للأطفال ألا يختصر البحث عن الوضعية المتناسبة مع ثقافة الطفل العربي؟

ـ الحرفية والاستعارة والتكييف أيها ربح أو خسارة في ترجمة القيمة الإنسانية للطفولة ؟

أما فيما يتعلق بعالم الكتابة والترجمة للطفل فقلما تُجدي الترجمة الحرفية، ذلك أن الاستعارة المبتكرة من عالمه والتي نسجها المؤلف ولم تخضع لمعايير الثقافة السائدة تترجم حرفيا، لأنها تدخل ضمن إطار إبداعية المؤلف يمكن تكييفها، لكن ترجمة الكلمة غير المركبة ذات الصورة المتداولة في النص المستهدف تترجم حرفيا، الأمر الذي ينصح به "نيومارك" لأنها تعتبر مجازا عالميا، وذلك على غرار: وميض أمل : rayon / glean [32]

كما يرى نيومارك أنه بالإمكان أن يترجم الاستعارة التي تعبر عن القيم المعنوية بالمادية مع مدلولها لتصير ترجمة معجمية gloss translation ولكن يتم ذلك فقط إذا تكرر في النص مما يؤدي إلى ضرورة نقلها وإيضاح مبتغاها وكذلك إظهار الجانب الفني فيها[33]

وترتبط الترجمة الحرفية عادة بالرغبة في الإيضاح وفي إدماج القارئ في عالم الثقافة الأصلية، وهذا أحد أهداف الترجمة الإثنولوجية، وهكذا تصبح الترجمة الحرفية خطرا لأننا نقرأ في فكر الشعوب الأخرى ما ليس فيه حقيقة، على حدِّ تعبير "كوبر" Cooper الذي يرى أن بعض الأنتروبولوجيين - ومن بينهم وورف Whorf- قد وقعوا في مثل هذه

الترجمات الحرفيّة المضللة[34]، ومنه تتجلى لنا خطورة مشروع الترجمة الحرفية في علم الأعراق ودراسة الشعوب، الذين تجذبه الغرابة اللغوية إلى فكرة نقل كل شيء، إلى حدود اللامعقول.

لقد اختار مترجم البؤساء إستيراتجية الحرفية وطوعها حتى في عدد الكتب الخمسة لخدمة اختياره دون أن يلغي التكييف لكي يربح رهان نقل القيم لأنه رأى طابعها الإنساني وخاصة حين يتعلق الأمر بالطفولة ووفق في تمثلها لأنه اختار الإستيراتجية المناسبة.

- لقد اخترت الاشتغال على عمل أدبي من الروائع استقصده النقاد كثيرا لكشف جمالية السرد التاريخي والسياسي والاجتماعي لكنني أردت أن أظهر أن هذه الأعمال الرائعة هي كذلك، لأنها أعطت حظا للكتابة والترجمة للأطفال من أجل حوار قيمي إنساني بينهم يلغي حدود اللغة ونزاع الكبار وسمحت لهم بتنمية الكفاءة المعرفية عبر القراءة وقربتنا من عالمهم.

- اختياري هذا يدعو إلى انتقاء ما نترجم للطفل وما ننقش في ذاكرته من قيم لينمي بها أناه خاصة في زمن العولمة حيث الصراع محتدم وحيث لا بقاء إلا للقيم الإيجابية فعودتنا إلى الوعي بالقيم الإنسانية في مجال ترجمة روائع الأدب الذي يأسر بسحر نوعه الروائي وبرغم الاختلاف ستعيدنا القيمة إلى إنسانيتنا من خلال فعل الكتابة والقراءة والترجمة للطفل وكلنا طفل قابع في حناياه ويتمنى أن تصهر له شواذر الذهب لبناء أناه المثقفة في زمن طغى فيه عنف الصورة على جمال الكلمة.

هوامش:

1 - أمين الزاوي، من الترجمة إلى عودة النص: سؤال في ترجمة الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية إلى العربية. مجلة المترجم، العدد 01، يناير-جوان 2001. مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن، دار الغرب للنشر والتوزيع. ص 55-62.

2- Peter Bush, Literary translation practices, in Routledge Encyclopaedia of Translation studies, Edited by Mona Baker, Taylor and Francis e-library, 2005, p 127.

3- جمال جابر، منهجية الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق: النص الروائي نموذجا، دار الكتاب الجامعي، بيروت، 2005، ص 19.

4- Peter Bush, Op.cit. p 127.

5- Hellal Yamina, Initiation à l'interprétation, Alger, OPU, 1995, p 28.

6- Israël Fortunato, Traduction littéraire : l'appropriation du texte, la liberté en traduction, Didier Erudition, 1991, pp 18-26.

7 - المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، 2000، ص 1136.

8 - Petit Larousse en Couleurs, Librairie Larousse, 1988.

9 - Israël Fortunato, Traduction littéraire : L'appropriation du texte, Op. Cit, p 39.

10 - Lederer Marianne, La traduction aujourd'hui, Hachette, F.L.E, 1994, p 122.

11 - Hans J. Vermeer, A Skopos Theory of Translation (Some arguments for and against), p. 04.

12 - « I understand translating roughly as a procedure initiated by a commission consisting of a set of (verbal and non-verbal) instructions (plus additional material) to prepare an (oral or written) "target-text" for transcultural interacting on the basis of "source–text" material. ». Ibid.p.04.

13 - Christiane Nord, La Traduction Une Activité ciblée : introduction aux approches fonctionnalistes , p45.

14 - J. Munday, Introducing Translation Studies, Op.cit, pp. 79-80.

15 -Inês Oseki-Dépré, Théories et pratiques de la traduction littéraire, Paris, Armand Colin, 1999, p.81.

16 - « *Les Misérables* », de Victor Hugo, L'École des Lettres I, n° 9, 1996-1997.

17- www.parrishfineart.com/images/ tpc_cosette_lg.jpg, date de visite de page 20-09-2012

18- Ibid.

19- www.parrishfineart.com/images/ tpc_cosette_lg.jpg,date de visite de page 20-09-2012

20- http://www.bolognachildrensbookfair.com/en/centro_traduttori/world date de visite 20-09-2012

21- Ibid.

22-Ibid.

23http://www.bolognachildrensbookfair.com/en/centro_traduttori/world date de visite 20-09-2012

24- P. Laforgue: La symbolisation de l'histoire chez Hugo, l'exemple de Cosette et Gavroche, in Meta, p1.

25- Hülya Yaz ici Okuyan a *, Sedat Kara, *The pattern of child books appreciation according to language* and literature teaching, www.sciencedirect.com, Procedia Social and Behavioral Sciences 15 (2011) 1580–1585 date de visite M21-09-2012

26- Chevrel Yves, « La lecture des œuvres littéraires en traduction : quelques propositions », *L'information littéraire*, 2006/1 Vol. 58, p. 50-57.

27- Kathleen Wells, A narrative analysis of one mother's story of child custody loss and regain, University, United States, Children and Youth Services Review 33 (2011) 439-447,

28- Hugo, Victor. *Les Misérables*. Édition Bouquins. Paris, Éditions Robert Laffont, S.A., 1985.

29- Richard Hendrix, Adapter *Les Misérables*, mémoire de Master, Hollande, 2006.

30- Matthew Nunes, La fonction du sacrifice et son rapport au salut dans *Les Misérables*, Bennington, Vermont, Etats-Unis, Juin, 2011.

31- Voltaire cité par J. Demanuelli, C. Demanuelli, Traduction : mode d'emploi, Masson, Paris, 1995, p.01.

32- انظر: بيتر نيومارك، اتجاهات في الترجمة: جوانب من نظريات الترجمة، ص168-169.

33- المرجع السابق، ص175.

34- د.كوبر D.Cooper، اقتبسه محيي الدين محسب، اللغة والفكر والعلم، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1، 1998، ص71.